

التفسير المحرر 24-10124-1.0

لَا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ، فَنَسَبَ إِلَيْهِ بَاطِلًا - كَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ شُرَكَاءُ فِي عِبَادَتِهِ - وَكَذَبَ بِالْحَقِّ الْمُشْتَمِلِ عَلَى الصِّدْقِ حِينَ بَلَغَهُ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَأْوًى وَمُسْتَقَرٌّ لَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا؛ بِكَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِالصِّدْقِ لَمَّا جَاءَهُمْ، وَكَذَلِكَ لِكُلِّ كَافِرٍ بِاللَّهِ تَعَالَى؟

وَالَّذِينَ دَعَوْا إِلَى الْقُرْآنِ وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ، وَصَدَّقُوا بِهِ: هُمَ الَّذِينَ تَتَحَقَّقُ فِيهِمْ صِفَةُ التَّقْوَى لِلَّهِ تَعَالَى لَأُولَئِكَ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُهُمْ فِي الْجَنَّةِ، ذَلِكَ النَّعِيمُ ثَوَابُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي الدُّنْيَا لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنِ الْمُحْسِنِينَ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَهُ مِنَ الطَّاعَاتِ أَلَيْسَ اللَّهُ كَافِيًا مَنْ قَامَ بِعِبُودِيَّتِهِ كُلِّ سَوْءٍ، وَعَاصِمًا لَهُ مِنْ كُلِّ كَيْدٍ؟ وَيُخَوِّفُكَ مُشْرِكُو قَوْمِكَ - يَا مُحَمَّدٌ - بِمَنْ دُونَ اللَّهِ أَنَّهُمْ يَنَالُونَكَ بِسَوْءٍ! وَمَنْ يُضِلَّهُ اللَّهُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فَلَا أَحَدَ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ

وَمَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ إِلَى الْحَقِّ فَلَا أَحَدَ يُضِلُّهُ عَنْهُ، أَلَيْسَ اللَّهُ عَزِيزًا فِي انتِقَامِهِ مِنَ الْكُفَّارِ، مَنِيعَ الْجَنَابِ، قَاهِرًا لِلْعِبَادِ، وَبِعِزَّتِهِ يَكْفِي عَبْدَهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ مَكْرَ أَعْدَائِهِ؛ ذَا انتِقَامٍ مِنَ الْجَاذِبِينَ وَحِدَانِيَّتِهِ، الْمَكْذِبِينَ رُسُلَهُ، الْعَاصِينَ أَمْرَهُ؟

وَلِئِنْ سَأَلْتِ الْمُشْرِكِينَ - يَا مُحَمَّدٌ -: مَنْ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ لَيَقُولَنَّ: اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ خَالِقُهُمَا، قُلْ: أَرَأَيْتُمُ الْإِلَهَةَ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ: هَلْ تَقْدِرُ عَلَى كَشْفِ مَا يُصِيبُنِي مِنْ ضَرٍّ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَنِي بِهِ؟ أَوْ هَلْ تَقْدِرُ إِلَهُتُكُمْ أَنْ تَمْنَعَ عَنِّي رَحْمَةَ رَبِّي إِنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَنِي بِهَا؟ قُلْ - يَا مُحَمَّدٌ -: يَكْفِينِي

اللَّهُ وَحْدَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَأَنَا أَفَوِّضُ إِلَيْهِ جَمِيعَ أُمُورِي، وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ؛ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ يَعْتَمِدُ الْمُتَوَكِّلُونَ فِي جَلْبِ مَصَالِحِهِمْ، وَدَفْعِ مَضَارِّهِمْ

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: يَا قَوْمَ، اعْمَلُوا عَلَى طَرِيقَتِكُمْ وَمَنْهَجِكُمْ وَحَالَتِكُمْ الَّتِي رَضِيتُمْوهَا لِأَنْفُسِكُمْ، وَجَمَدْتُمْ عَلَيْهَا، أَمَّا أَنَا فَعَامِلٌ بِمَنْهَجِي الَّذِي أَمَرَنِي اللَّهُ بِهِ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ فِي الدُّنْيَا عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ يُذِلُّهُ وَيُهَيِّئُهُ، وَمَنْ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِهِ الْمَحْدَدِ لَهُ عَذَابٌ مُسْتَمِرٌّ لَا يُفَارِقُهُ

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ -يَا مُحَمَّدٌ- الْقُرْآنَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ، فَتَنْذِرُ بِهِ، وَتُبَيِّنُ لَهُمُ الْهُدَى، فَمَنْ عَمِلَ بِالْقُرْآنِ وَاتَّبَعَهُ، فَإِنَّمَا يَعُودُ نَفْعُ ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ، فَلَمْ يُؤْمِنْ بِالْقُرْآنِ وَتَبِعْهُ؛ فَإِنَّمَا يَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ وَضَرَرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، لَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَا أَنْتَ -يَا مُحَمَّدٌ- بِمُؤَكَّلٍ بِاهْتِدَاءِ النَّاسِ؛ فَتَقْهَرَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَلَا بِمُرَاقِبٍ لِأَعْمَالِهِمْ، وَلَا حَفِيزٍ عَلَيْهَا، وَلَا مُحَاسِبٍ لَهُمْ، وَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ

اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَرْوَاحَ حِينَ انْقِضَاءِ أَجَلِ أَصْحَابِهَا، وَيَتَوَقَّى اللَّهُ فِي الْمَنَامِ الْأَرْوَاحَ الَّتِي لَمْ يَنْقُضْ بَعْدُ أَجَلَ أَصْحَابِهَا، فَيَحْبِسُ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ الَّتِي حَكَمَ عَلَى أَصْحَابِهَا بِالْمَوْتِ، فَلَا يَرُدُّ أَرْوَاحَهُمْ إِلَى أَجْسَادِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُرْسِلُ اللَّهُ أَرْوَاحَ الْأَحْيَاءِ حِينَ اسْتِقْظَاهُمْ مِنْ مَنَامِهِمْ، فَتَعُودُ إِلَى أَجْسَادِهِمْ، فَلَا يَتَوَقَّاهَا اللَّهُ الْوَفَاةَ الْكُبْرَى إِلَّا حِينَ انْقِضَاءِ أَجْلِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِنَّ فِي هَذَا التَّوَقِّي لِلْأَرْوَاحِ وَإِمْسَاكِهَا وَإِرْسَالِهَا: لَعَلَّامَاتٍ وَدَلَائِلَ، وَعِبْرًا وَعِظَاتٍ لِلَّذِينَ يَتَفَكَّرُونَ فِي شَأْنِهَا، فَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللَّهِ

تعالى، واستحقاقه العبادة وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَعَلَى تَحَقُّقِ وَقُوعِ
الْبَعْثِ... وَغَيْرِ ذَلِكَ

أَمْ اتَّخَذَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً يَعْبُدُونَهَا؛ لِنَشْفَعَ لَهُمْ عِنْدَ
اللَّهِ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِمْ؟ قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: أَيْتَّخِذُونَ تِلْكَ
الْأَصْنَامَ شُفْعَاءَ لَهُمْ، وَلَوْ كَانَتْ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا، وَلَا تَعْقِلُ؟!

قُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ-: لِلَّهِ وَحْدَهُ الشَّفَاعَةُ، وَمَرْجِعُهَا كُلُّهَا إِلَيْهِ؛
فَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ سِوَاهُ شَيْئًا مِنْهَا، وَهُوَ وَحْدَهُ مَنْ يَأْذُنُ بِهَا إِنْ شَاءَ،
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَهُ وَحْدَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَمُلْكُ الْأَرْضِ،
وَلَهُ وَحْدَهُ التَّصَرُّفُ فِيهِمَا كَمَا يُرِيدُ؛ فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَلَا تَعْبُدُوا
غَيْرَهُ مِمَّا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا، ثُمَّ إِلَى اللَّهِ مَصِيرُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا إِلَى
غَيْرِهِ، فَحُكْمُ بَيْنِكُمْ، وَبُجَازِي كُلِّكُمْ مِنْكُمْ

وَإِذَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْمَعْبُودَاتِ
الْبَاطِلَةِ انْقَبَضَتْ قُلُوبُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ،
وَتَمَعَّرَتْ وُجُوهُهُمْ وَنَفَرُوا؛ كِرَاهِيَةً لِتَوْحِيدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَإِذَا
ذُكِّرَتْ آلِهَتُهُمْ بِالْخَيْرِ اشْتَدَّ فَرَحُهُمْ، وَظَهَرَ السُّرُورُ عَلَى
وُجُوهِهِمْ

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- دَاعِيَا رَبِّكَ وَحْدَهُ: يَا اللَّهُ يَا خَالِقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ، يَا عَالِمَ مَا غَابَ عَنِ الْخَلْقِ، وَمَا
ظَهَرَ لَهُمْ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، أَنْتَ وَحْدَكَ تَقْضِي
بَيْنَ عِبَادِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَدْلِ فِيمَا كَانُوا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ فِي الدُّنْيَا
وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشِّرْكِ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ
وَضِعْفَ ذَلِكَ مَعَهُ، لَقَدَّمُوهُ فِدَاءً يَفْدُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ لِلنَّجَاةِ مِنَ
الْعَذَابِ السَّيِّئِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَظَهَرَ لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ

الَّذِي أَعَدَّ لَهُمْ: مَا لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ، وَلَمْ يَقَعْ لَهُمْ فِي ظُنُونِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا يَحْكُمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

وظَهَرَ لِلْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ السَّيِّئَاتُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، وَأَحَاطَ بِهِمْ وَلَزَمَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا

فَإِذَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ ضَرَرٌ وَشِدَّةٌ وَكَرِبٌ دَعَانَا؛ لِنَكْشِفَ عَنْهُ ذَلِكَ، ثُمَّ إِذَا أُعْطِيَ نِعْمَةً مِنْ غِنًى أَوْ عَافِيَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ: إِنَّمَا أُعْطِيتُ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ! لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَزْعُمُ، إِنَّمَا هَذِهِ النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمْنَا بِهَا عَلَيْهِ اخْتِبَارٌ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَجَلْهَلُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَيَغْتَرُّونَ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ

قَدْ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ -إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ- وَادَّعَى هَذِهِ الدَّعْوَى: مَنْ سَلَفَ مِنَ الْأَمَمِ الْمَاضِيَةِ، فَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ مَا كَسَبُوهُ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ لَمَّا جَاءَهُمْ

فَأَصَابَهُمْ جَزَاءُ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ، وَحُلَّ عَلَيْهِمْ وَبَالَ مَا كَسَبُوهُ، وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ كُفَّارٍ قَرِيشٍ سَيُصِيبُهُمْ أَيْضًا وَبَالَ مَا كَسَبُوهُ، وَلَنْ يُعْجِزُوا اللَّهَ فَيَغْلِبُوهُ أَوْ يَفُوتُوهُ وَيَسْبِقُوهُ بِالْهَرَبِ فِي الْأَرْضِ؛ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى عِقَابِهِمْ!

أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أُوتُوا النِّعَمَ عَلَى عِلْمٍ: أَنَّ اللَّهَ يُوسِّعُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيُضَيِّقُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ؟ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِلَالَاتٍ وَعَلَامَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلَى حِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَتَقَرُّدِهِ بِالتَّصَرُّفِ فِي أَرْزَاقِ عِبَادِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- مُبْلَغًا عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ يَقُولُ: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ بِالْكَفْرِ أَوْ الْمَعَاصِي، فَأَنْقَلُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْآثَامِ: لَا

يَنْقَطِعَ رَجَاؤُكُمْ وَتَيَاسُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، مُعْتَقِدِينَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَسْتُرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، وَيَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُواخَذَةِ بِهَا، إِنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ الْبَالِغُ الْمَغْفِرَةُ لِدُنُوبِ عِبَادِهِ، الْعَظِيمِ الرَّحْمَةِ بِهِمْ

وَارْجِعُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- إِلَى رَبِّكُمْ، بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ وَطَاعَتِهِ وَحُدَّهِ، وَاسْتَسْلِمُوا وَاخْضَعُوا لَهُ، وَانْقَادُوا إِلَيْهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ عَلَى كُفْرِكُمْ بِهِ، وَمَعْصِيَتِكُمْ إِيَّاهُ، ثُمَّ لَا يَنْصُرُكُمْ نَاصِرٌ وَاتَّبِعُوا الْقُرْآنَ فَصَدِّقُوا أَخْبَارَهُ، وَاتَّعِظُوا وَاعْتَبِرُوا بِقَصَصِهِ وَأَمْثَالِهِ، وَامْتَثِلُوا أَوْامِرَهُ، وَاجْتَنِبُوا نَوَاهِيَهُ، وَكُلُوا مُتَشَابِهَهُ إِلَى عَالِمِهِ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ عَذَابُ اللَّهِ فَجَاءَةً وَأَنْتُمْ غَافِلُونَ لَا تَشْعُرُونَ بِمَجِيئِهِ

لِنَلَّا تَقُولَ نَفْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْسُرًا عَلَى عَدَمِ التَّوْبَةِ: يَا نَدَامَتِي عَلَى مَا قَصَرْتُ فِي حَقِّ اللَّهِ، وَضَيَّعْتُ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا أَمَرَنِي بِهِ، وَالْحَالُ أَنَّنِي كُنْتُ مِنَ السَّاجِرِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ

وَلِنَلَّا تَقُولَ نَفْسُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي إِلَى الْحَقِّ لَكُنْتُ مِنَ الَّذِينَ اتَّقَوْهُ فَأَطَاعُوهُ، وَاجْتَنَبُوا الشِّرْكَ بِهِ، وَمَعْصِيَتَهُ أَوْ لِنَلَّا تَقُولَ نَفْسُ حِينَ تَرَى عَذَابَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ: لَيْتَ لِي رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا فَأَكُونَ مِنَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ يَقُولُ اللَّهُ مُكَذِّبًا لَهُ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ؛ فَقَدْ جَاءَتْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ الدَّالَّةُ عَلَى الْحَقِّ، فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ عَنْ قَبُولِهَا وَاتِّبَاعِهَا، وَكُنْتَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَافِرِينَ بِهَا؛ فَلَا عُذْرَ لَكَ

وَتَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى اللَّهِ -بِدَاعِئِهِ أَنْ لَهُ شَرِيكًا أَوْ وَلَدًا، أَوْ زَعَمَ أَنَّهُ شَرَعٌ شَيْئًا وَهُوَ لَمْ يَشْرَعْهُ،

إلى غير ذلك- وُجوههم قد اسودَّت، أليس في جَهَنَّمَ مَقَامٌ وَمُسْتَقَرٌّ
لِلَّذِينَ تَكْبَرُوا عَنِ الْحَقِّ، فَأَعْرَضُوا عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَقَبُولِ
شَرِّهِ، وَامْتَنَعُوا عَنْ طَاعَتِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ؟

وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى،
بِفُوزِهِمْ: بِنَجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ، وَدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، لَا يُصِيبُ الْمُتَّقِينَ
فِي الْآخِرَةِ سُوءٌ، وَلَا يُصِيبُهُمْ حُزْنٌ أَبَدًا

اللَّهُ وَحْدَهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، فَهُوَ رَبُّهَا وَمَالِكُهَا، وَالْمُتَقَرِّدُ
بِالتَّصَرُّفِ فِيهَا، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَائِمٌ وَحَافِظٌ، وَمُدَبِّرٌ لَهُ

أَرْزَمَةُ الْأُمُورِ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، فَعِنْدَهُ وَحْدَهُ خَزَائِنُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِفَاتِيحُهَا، وَهُوَ الْمُنفَرِدُ بِتَدْبِيرِهَا
وَالنَّصْرَفِ فِيهَا، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ الدَّالَّةِ عَلَيْهِ
وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ: أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ؛ فَهُمْ
مَخْذُولُونَ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، مُخْلَدُونَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ، مَحْرُومُونَ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِمُشْرِكِي فُرَيْشٍ: أُنَاطُروُنِي بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ
تَعَالَى، أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ بِعَظَمَتِهِ وَبِاسْتِحْقَاقِهِ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ دُونَ مَا
سِوَاهُ؟!

وَلَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ -يَا مُحَمَّدٌ- وَأُوحِيَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ
الْأَنْبِيَاءِ: لَيْسَ أَشْرَكَتَ بِاللَّهِ لَيَبْطُلَنَّ عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَلَا يُثْبِتُكَ اللَّهُ
عَلَيْهِ، وَلَتَكُونَنَّ -إِنْ أَشْرَكَتَ بِاللَّهِ- مِنْ جُمْلَةِ الَّذِينَ خَسِرُوا ثَوَابَ
أَعْمَالِهِمْ، وَاسْتَحَقُّوا عَذَابَ اللَّهِ

بَلْ اعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ -يَا مُحَمَّدٌ- دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ، مُخْلِصًا
لَهُ فِي عِبَادَتِكَ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ بِالْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ

وما عَظَّمَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ كَمَا يَنْبَغِي لَهُ؛ حَيْثُ عَبَدُوا مَعَهُ
غَيْرَهُ، وَلَمْ يَصِفُوهُ بِصِفَتِهِ الَّتِي تَنْبَغِي لَهُ تَعَالَى، وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْحَالُ أَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا فِي قَبْضَتِهِ، يَقْبِضُهَا بِيَدِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتِ السَّبْعُ كُلُّهَا يَطْوِيهَا اللَّهُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، تَنْزَرُهُ اللَّهُ
وَعَلَا عَنْ شِرْكَ الْمُشْرِكِينَ عُلُوًّا عَظِيمًا
وَيُنْفَخُ فِي الْبُوقِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَفْخَةٌ يَمُوتُ بِهَا أَهْلُ
السَّمَوَاتِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ اسْتَنْتَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي
الْبُوقِ نَفْخَةٌ ثَانِيَةً، فَإِذَا جَمِيعُ الْخَلَائِقِ الَّذِينَ مَاتُوا قَدْ قَامُوا
يَنْظُرُونَ

وَأَضَاءَتْ أَرْضُ الْمَحْشَرِ بَنُورَ رَبِّهَا إِذَا تَجَلَّى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ
بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَحْضَرَتْ كُتُبَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَوُضِعَتْ لِمَحَاسِبَتِهِمْ
وَمُجَازَاتِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ لِيَسْأَلَهُمْ
رَبُّهُمْ عَمَّا أَجَابَتْهُمْ بِهِ أَمُّهُمْ، وَجِيءَ بِالَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَلَى النَّاسِ
بَأَعْمَالِهِمْ، وَيَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْعَدْلِ التَّامِّ، وَلَا
يَظْلِمُهُمْ شَيْئًا؛ فَلَا يُعَاقَبُ أَحَدًا بِمَا لَمْ يَعْمَلْهُ، أَوْ يُحْمَلْهُ ذَنْبٌ غَيْرُهُ،
أَوْ يَنْقُصَهُ مِنْ أَجْرِهِ، أَوْ يَزِيدُ فِي سَيِّئَاتِهِ
وَيُوقِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ جَزَاءَ عَمَلِهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
مِنَ النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ بِمَا يَفْعَلُ عِبَادَهُ فِي الدُّنْيَا، وَسَيُجَازِيهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ

وَيُسَاقُ الْكُفَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى جَهَنَّمَ جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً، حَتَّى
إِذَا بَلَغَ الْكُفَّارُ جَهَنَّمَ فَتَحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا السَّبْعَةُ فَجَاءَتْ فُورٌ
وُصُولُهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ الْمَوْكَلُونَ بِهَا: أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ
مِنْكُمْ يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ، وَيُخَوِّفُونَكُمْ وَيُحَذِّرُونَكُمْ شَرَّ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَصِيرِكُمْ إِلَيْهِ؟ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: بَلَى! قَدْ أَتَيْنَا
رَسُولًا مِنَّا يَقْرَأُ عَلَيْنَا وَحْيَ رَبِّنَا، وَيُنْذِرُونَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكِنْ

كَذَّبْنَاهُمْ، وَوَجِبَتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ - فِي عِلْمِ اللَّهِ السَّابِقِ - عَلَى
الْكَافِرِينَ بِهِ وَبَيَّاتِهِ وَرُسُلِهِ

فَيُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ السَّبْعَةَ مَكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، لَا
يَنْقَطِعُ عَنْكُمْ عَذَابُهَا، وَلَا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ مِنْهَا، فَيُنَسَّ الْمَقَامُ
وَالْمُسْتَقَرُّ لِلْمُتَكَبِّرِينَ عَنِ الْحَقِّ، نَارُ جَهَنَّمَ

وَيُسَاقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ وَاجْتَنَابَ
مَا نَهَى: إِلَى الْجَنَّةِ أَفْوَاجًا وَجَمَاعَاتٍ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْمُتَّقُونَ
الْجَنَّةَ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُهَا، وَقَالَ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ الْمُوَكَّلُونَ بِهَا
لِلْمُتَّقِينَ: تَحِيَّةٌ وَأَمْنَةٌ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ، فَلَا يَنَالُكُمْ شَرٌّ وَلَا مَكْرُوهٌ،
طَابَتْ أَعْمَالُكُمْ وَأَقْوَالُكُمْ، فَصَلَحْتُمْ لِسْكُنَى الْجَنَّةِ، فَادْخُلُوهَا
مَكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا

وَقَالَ الْمُتَّقُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي حَقَّقَ لَنَا مَا وَعَدَنَا مِنَ
النَّوَابِ عَلَى طَاعَتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَأَنْجَزَهُ لَنَا فِي الْآخِرَةِ، وَمَلَكَنَا
أَرْضَ الْجَنَّةِ نَسْكُنُ مِنْهَا حَيْثُ نَحِبُّ وَنَسْتَهِي، وَنَنْزِلُ فِي أَيِّ
مَكَانٍ شِئْنَاهُ مِنْهَا، فَأَيْنَ شِئْنَا حَلَّلْنَا، فَنِعْمَ ثَوَابُ الْعَامِلِينَ بِطَاعَةِ
اللَّهِ فِي الدُّنْيَا: نَعِيمُ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ

وَتَرَى يَا مُحَمَّدُ الْمَلَائِكَةَ مُحِيطِينَ بِعَرْشِ الرَّحْمَنِ، يُنَزِّلُونَ
رَبَّهُمْ عَنْ كُلِّ الْعُيُوبِ وَالتَّقَائِصِ تَنْزِيهًا مُفْتَرِّئًا بِوصْفِهِ بِصِفَاتِ
الْكَمَالِ؛ مَحَبَّةً لَهُ وَتَعْظِيمًا، وَحَكَمَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ التَّامِّ،
وَيُقَالُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ الْخَالِقِ الْمَالِكِ، الرَّازِقِ الْمُدَبِّرِ
لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ

هَذَانِ الْحَرْفَانِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ الَّتِي افْتَتَحَتْ بِهَا بَعْضُ
سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِبَيَانِ إِعْجَازِ هَذَا الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تُظْهَرُ عَجَزُ

الْخَلْقِ عَنِ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ
الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا

تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْقَاهِرِ الْغَالِبِ، الْمُنِيعِ الْجَنَابِ،
الْمُمْتَنِعِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، ذِي الْقَدْرِ وَالسِّيَادَةِ؛ الْعَلِيمِ الَّذِي
أَحَاطَ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

غَافِرِ ذُنُوبِ عِبَادِهِ، وَقَابِلِ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ مِنَ الشِّرْكِ وَجَمِيعِ
الْمَعَاصِي، شَدِيدِ الْعِقَابِ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْ عِبَادِهِ، صَاحِبِ الْغَنَى
الْوَاسِعِ، وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ عَلَى خَلْقِهِ، لَا مَعْبُودَ حَقٌّ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ، إِلَيْهِ وَحْدَهُ مَرْجِعُ الْعِبَادِ، فَيُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ

مَا يُجَادِلُ بِالْبَاطِلِ فِي آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحَقِّ إِلَّا الْكَافِرُونَ
الَّذِينَ يَزُودُونَ فِيهَا، وَيَطْعَنُونَ فِيهَا، يَقْصِدُونَ إِدْحَاضَ الْحَقِّ،
وَإِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَا يَخْذَعُكَ -يَا مُحَمَّدُ- تَصَرُّفُ الْكُفَّارِ
فِي الْأَرْضِ، وَتَرَدُّدُهُمْ فِيهَا بِالْأَسْفَارِ وَأَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَغَيْرِهَا،
وَتَمَتُّعُهُمْ فِي الدُّنْيَا سَالِمِينَ مَعَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ؛ فَتَطُنَّ بِهِمْ ظَنًّا حَسَنًا،
وَأَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ لَا يُؤَاخِذُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ؛ فَاللَّهُ عَالِمٌ
بِحَالِهِمْ، فَيَمْهَلُهُمْ وَيَسْتَدْرِجُهُمْ بِالنِّعَمِ حَتَّى يُهْلِكَهُمْ

كَذَبَتِ الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ رُسُلَهَا مِنْ قَبْلِ كُفَّارِ فُرَيْشٍ، وَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ مِمَّنْ تَحَزَّبُوا وَاتَّفَقُوا عَلَى
إِبْطَالِ الْحَقِّ، وَنَصَرِ الْبَاطِلِ؛ كَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ لُوطٍ،
وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ، وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَهُمْ كُلُّ قَوْمٍ مِنْ أَوْلَئِكَ الْكُفَّارِ
الْمُتَحَزِّبِينَ يَقْتُلُ رُسُلَهُمُ الَّذِي كَذَّبُوهُ، وَجَادَلُوا رُسُلَهُمُ بِالْبَاطِلِ؛
لِيُزِيلُوا بِهِ الْحَقَّ وَيُبْطِلُوهُ، فَأَخَذْتُهُمْ بِعَذَابٍ أَهْلَكَهُمْ، فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِي الَّذِي أَصَابَهُمْ؟

وكما وَجَبَ الْعَذَابُ عَلَى كُفَّارِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، كَذَلِكَ وَجَبَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِكَ وَعَلَى جَمِيعِ الْكُفَّارِ؛ أَنَّهُم الْمَلَاذِمُونَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابَ النَّارِ

الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ الَّذِينَ يَخْفُونَ بِهِ يُنْزِرُهُمْ رَبُّهُمْ عَنِ النَّفَائِصِ تَنْزِيهَا مُقْتَرِنًا بِوَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ؛ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا، وَيُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ، وَأَنَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَيَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ الْمَغْفِرَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ، قَائِلِينَ: يَا رَبَّنَا وَسِعْتَ رَحْمَتَكَ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَمِلَتْهُ رَحْمَتُكَ، وَوَسِعَ عِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَقَدَ أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، وَالتَّزَمُوا بِمَا شَرَعْتَهُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، فَوَحَّدوكَ وَأَطَاعوكَ، وَاصْرَفْ عَنْهُمْ عَذَابَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

يَا رَبَّنَا وَأَدْخِلِ الَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ بِإِدْخَالِهِمْ إِيَّاهَا، وَمَنْ صَلَحَ فِي الدُّنْيَا مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ، فَاْمَنْ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ ذُو الْقُدْرِ وَالسِّيَادَةِ، الْغَالِبُ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمُمْتَنِعُ عَلَيْهِ كُلُّ غَيْبٍ وَنَقْصٍ؛ الْحَكِيمُ فِي شَرْعِكَ وَقَدْرِكَ وَتَدْبِيرِ خَلْقِكَ

وَاحْفَظِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ مِمَّا يَسْوؤُهُمْ، مِنْ ارْتِكَابِ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَغُفُوبَاتِهَا الَّتِي تَسْوؤُ أَصْحَابَهَا، وَمَنْ تَصْرَفَ عَنْهُ سَوْءَ عَاقِبَةِ سَيِّئَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَدْ رَحِمْتَهُ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِكَ، وَدُخُولِ جَنَّتِكَ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ الَّذِي لَا فَوْزَ مِثْلَهُ

إِنَّ الْكَافِرِينَ يُنَادَوْنَ وَهُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ: لَبُعْضُ اللَّهِ الشَّدِيدُ
لَكُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ فِيهَا إِلَى الْإِيمَانِ، فَتَكْفُرُونَ-
أَعْظَمُ مِنْ بُغْضِكُمُ الشَّدِيدِ الْيَوْمَ لَأَنْفُسِكُمْ

قال أولئك الكافرون من أهل النار: يا ربنا أمتنا موتتين
اثنتين -حين كانوا نطفًا قبل نفخ الروح فيهم، ثم عند انتهاء
آجالهم في الدنيا-، وأحييتنا إحيائين اثنتين -بنفخ الروح فيهم
في الدنيا، وحين بعثهم يوم القيامة-، فأقررنا بما اقترفناه من
الذنوب، فهل من طريق أو وسيلة للخروج من النار؟

فأجيبوا بأنه لا سبيل لكم للخروج من النار؛ لأنكم كنتم في
الدنيا إذا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ بَوَحْدَانِيَّتِهِ، وإن يُجْعَلَ لَهُ شَرِيكٌ
في عبادته تُؤْمِنُوا بِالشِّرْكِ! فالقضاء العادل بين العباد لله وَحْدَهُ
العليّ الذات والقدّر والصفات؛ القاهر لكل شيء، العليّ عن أن
يكون له شريك؛ الكبير، ذي الكبرياء والعظمة في ذاته وأسمائه
وصفاته وأفعاله

اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يُرِيكُمْ -أيها الناس- آيَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ
وقُدْرَتِهِ، وَكَمَالِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيُنَزِّلُ مِنْ أَجْلِكُمْ رِزْقًا مِنَ
السَّمَاءِ، وَمَا يَتَذَكَّرُ بِالْآيَاتِ فَيَعْتَبِرُ وَيَتَّعِظُ حِينَ يُذَكَّرُ بِهَا إِلَّا مَنْ
يُنِيبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالرُّجُوعِ عَنِ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي،
إِلَى الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى مَحَبَّتِهِ وَخَشْيَتِهِ
فَادْعُوا اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ، غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ شَيْئًا فِي كُلِّ
حَالٍ، حَتَّى فِي حَالِ كَرَاهَةِ الْكَافِرِينَ لَذَلِكَ

هو العليّ الأعلى فوق السموات، صاحب العرش العظيم،
العالى على جميع المخلوقات، وقد استوى عليه استواء يليق

بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، يُنَزِّلُ اللَّهُ الْوَحْيَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُمْ الرُّسُلُ، لِيُخَوِّفَ النَّاسَ وَيُحَذِّرَ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ ظَاهِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَوَاتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، وَظَوَاهِرِهِمْ وَبَوَاطِنِهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ فَيُجِيبُ نَفْسَهُ فَيَقُولُ: لِلَّهِ الْوَاحِدِ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ، وَلَا مِثْلَ لَهُ فِي ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الْقَهَّارُ الَّذِي قَهَرَ وَغَلَبَ كُلَّ شَيْءٍ؛ فَكُلُّ مَا سِوَاهُ خَاضِعٌ لَهُ

الْيَوْمَ يُثَابُ كُلُّ عَامِلٍ بِمَا عَمِلَهُ فِي الدُّنْيَا جَزَاءً مُنَاسِبًا لِعَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، لَا ظُلْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَحَدٍ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ؛ فَلَا يُعَاقَبُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ، وَلَا يُعَاقَبُ بِأَكْثَرِ مِمَّا يَسْتَحِقُّ، وَلَا يُزَادُ فِي سَيِّئَاتِهِ شَيْءٌ، وَلَا يُنْقَصُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ، إِنَّ اللَّهَ ذُو سُرْعَةٍ بِالْغَةِ فِي مُحَاسَبَةِ عِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَا عَمِلُوا فِي الدُّنْيَا

وَحَوِّفِ النَّاسَ -يَا مُحَمَّدُ- وَحَذِّرْ هُمْ مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ، حِينَ تَبْلُغُ قُلُوبُ الْعِبَادِ حَنَاجِرَ هُمْ؛ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِمْ، فَعَلَقَتْ فِيهَا، فَلَا تَخْرُجُ مِنْ أَبْدَانِهِمْ فَيَمُوتُوا، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَوَاضِعِهَا، قَدْ امْتَلَأَتْ خَوْفًا وَغَمًّا وَرُعْبًا، فَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَلَامِ، لَيْسَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالشَّرِكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرِيبٌ أَوْ صَاحِبٌ مُحِبٌّ مُشْفِقٌ يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ، وَلَيْسَ لَهُمْ شَفِيعٌ يَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ؛ فَيُجَابِ بِمَا سَأَلَ، وَتُقَبَّلَ شَفَاعَتُهُ فِيهِمْ
يَعْلَمُ اللَّهُ خِيَانَةَ الْأَعْيُنِ، وَمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمَائِرِ

وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ التَّامِّ، وَالَّذِينَ يَدْعُوهُمْ الْمُشْرِكُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَحْكُمُونَ شَيْءٌ؛ فَهُمْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا، وَلَا يَقْدِرُونَ
عَلَى شَيْءٍ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ صَوْتٍ، الْبَصِيرُ بِكُلِّ شَيْءٍ
أَوْ لَمْ يَسِرْ أُولَئِكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ كُفَّارِ فُرَيْشٍ فِي الْأَرْضِ،
فَيَنْظُرُوا مُعْتَبِرِينَ نَهَايَةَ أَمْرٍ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؟
كَانُوا أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ كُفَّارِ فُرَيْشٍ، وَأَعْظَمَ آثَارًا فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ،
فَلَمْ تَنْفَعَهُمْ شِدَّةُ قُوَّتِهِمْ وَلَا آثَارُهُمْ فِي الْأَرْضِ؛ حَيْثُ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ
فَأَهْلَكَهُمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حِينَ جَاءَهُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَحَدٌ
يَقِيهِمْ مِنْهُ، وَيُدْفَعُهُ عَنْهُمْ

إِنَّمَا نَزَلَ ذَلِكَ الْعَذَابُ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ
بِالدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَصِدْقِ رُسُلِهِ، فَكَفَرُوا،
وَجَحَدُوا تَوْحِيدَ اللَّهِ، وَكَذَّبُوا رُسُلَهُ؛ فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابِهِ فَأَهْلَكَهُمْ،
إِنَّ اللَّهَ ذُو قُوَّةٍ عَظِيمَةٍ؛ فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَقْهَرُهُ شَيْءٌ
سُبْحَانَهُ، وَعِقَابُهُ شَدِيدٌ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِمُعْجَزَاتِنَا، وَبُحْبَجَةٍ ظَاهِرَةٍ مُظْهِرَةٍ لِلْحَقِّ
إِلَى فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ، وَوَزِيرِهِ هَامَانَ، وَقَارُونَ الَّذِي كَانَ
مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ؛ فَقَالُوا عَنْ مُوسَى: هُوَ سَاحِرٌ فِيمَا
يُرِينَا مِنْ آيَاتٍ، كَذَّابٌ فِي زَعْمِهِ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَمْ يُذْعِنُوا لَهُ، وَقَالُوا:
اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَ مُوسَى، وَاسْتَبَقُوا نِسَاءَهُمْ أَحْيَاءَ! وَمَا
كَيْدُهُمْ هَذَا إِلَّا كَيْدٌ بَاطِلٌ مُضْمَحِلٌّ؛ فَلَا يَتِمُّ لَهُمْ مَا قَصَدُوهُ بِهِ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ: دَعُونِي أَقْتُلْ مُوسَى، وَلْيَدْعُ رَبَّهُ الَّذِي يَزْعُمُ
أَنَّهُ أَرْسَلَهُ إِلَيْنَا؛ فَيَمْنَعَهُ مِنِّي؛ إِنِّي أَخَافُ -لَوْ تَرَكْتُ مُوسَى- أَنْ

يُغَيِّرَ دِينَكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِسِحْرِهِ، أَوْ أَنْ يُظْهَرَ فِي أَرْضِ مِصْرَ
الْفَسَادَ!

وقال موسى: إِنِّي أَسْتَجِيرُ وَأَعْتَصِمُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ
مُتَكَبِّرٍ مُتَعَاظِمٍ عَنِ الْحَقِّ، لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَحَاسِبُ اللَّهُ
فِيهِ عِبَادَهُ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ

وقال رجلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ يُخْفِي عَنْهُمْ إِيْمَانَهُ بِاللَّهِ
وَبُنْبُوءَةِ مُوسَى: كَيْفَ تَسْتَحِلُّونَ قَتْلَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِ: رَبِّي
اللَّهُ؟! فَإِنَّهُ لَا ذَنْبَ لَهُ يَسْتَحِقُّ بِهِ الْقَتْلَ، وَلَمْ يَكُنْ قَوْلُهُ أَيْضًا مَجْرَدًا
عَنِ الْبَيِّنَاتِ؛ فَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْأَدَلِّ الْوَاضِحَاتِ، وَإِنْ كَانَ مُوسَى
كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ فَإِنَّمَا يَعُودُ ضَرَرُ كَذِبِهِ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ فِي
ذَلِكَ ضَرَرٌ، وَإِنْ كَانَ مُوسَى صَادِقًا فِي دَعْوَاهُ فَكَذِبُكُمْ بِهِ، فَلَا بُدَّ
أَنْ يُصِيبَكُمْ بَعْضُ مَا يَعِدُكُمْ وَيَتَهَدَّدُكُمْ بِهِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ؛ فَلَا حَاجَةَ
لَكُمْ -إِذَنْ- إِلَى قَتْلِهِ! إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي لِلْحَقِّ مَنْ هُوَ مُظْهِرٌ لِلْفَسَادِ،
مُتَجَاوِزٌ لِلْحَدِّ، مُفْتَرٍ لِلْكَذِبِ

يَا قَوْمَ لَكُمْ الْغَلْبَةُ وَالسُّلْطَانُ الْيَوْمَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَالْعُلُوُّ
عَلَى أَهْلِهَا، فَمَنْ يَدْفَعُ عَنَّا عَذَابَ اللَّهِ إِنْ حَلَّ بِنَا؟! فَقَوُّنَا لَنْ تَنْفَعَنَا
شَيْئًا إِنْ جَاءَتْنَا عُقُوبَةُ اللَّهِ، قَالَ فِرْعَوْنُ: مَا أُشِيرُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَقُولُ
لَكُمْ إِلَّا مَا أَعْتَقَدُهُ، وَارَى أَنَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ، فَلَا أَظْهَرُ لَكُمْ
شَيْئًا خِلَافَ مَا أَبْطَنُهُ، وَمَا أَدْعُوكُمْ إِلَّا إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالسَّدَادِ
!

وقال مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ -إِنْ
قَتَلْتُمْ مُوسَى- يَوْمًا يَحُلُّ فِيهِ هَلَاكُكُمْ مِثْلَ أَيَّامِ الْأُمَمِ الَّتِي تَحَزَبَتْ
عَلَى رُسُلِهَا، وَاجْتَمَعَتْ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ؛ فَأَهْلِكَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى

مِثْلَ عَادَةَ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، وَالْأُمَمَ الَّذِينَ جَاؤُوا بَعْدَهُمْ، كَقَوْمِ لُوطٍ وَشُعَيْبٍ؛ الَّذِينَ أَلْزَمُوا تَكْذِيبَ رُسُلِهِمْ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بَعْدَآبِهِ، وَلَا يُرِيدُ اللَّهُ أَيَّ ظُلْمٍ لِعِبَادِهِ، وَإِنَّمَا أَهْلَكَ أَحْزَابَ الْكُفْرِ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِهِ، وَمُخَالَفَتِهِمْ أَمْرَهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ

وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَكْثُرُ فِيهِ التَّنَادِي يَوْمَ تَقْرَوْنَ هَارِبِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَيُّ مَانِعٍ يَمْنَعُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَمَنْ يَخْذُلُهُ اللَّهُ عَنِ الْحَقِّ فَلَا أَحَدَ يَهْدِيهِ إِلَيْهِ قَالَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ: وَلَقَدْ جَاءَ يُوسُفُ إِلَى أَسْلَافِكُمْ مِنْ قَبْلِ مُوسَى بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَصِدْقِ نَبَوِيَّتِهِ، فَمَا زِلْتُمْ -تَبَعًا لِأَسْلَافِكُمْ- تَشْكُونَ فِيمَا جَاءَ بِهِ يُوسُفُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ، فَلَمْ تُؤْمِنُوا بِالْإِيمَانِ الْوَاجِبِ الْخَالِي مِنَ الشَّكِّ حَتَّى إِذَا مَاتَ يُوسُفُ قَالَ أَسْلَافُكُمْ بِالظَّنِّ الْبَاطِلِ: لَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ يُوسُفَ رَسُولًا غَيْرَهُ! وَكَمَا أَضَلَّكُمْ اللَّهُ حِينَ لَمْ تَقْبَلُوا مَا جَاءَكُمْ بِهِ يُوسُفُ؛ لِإِسْرَافِكُمْ وَارْتِيَابِكُمْ، يُضِلُّ اللَّهُ كُلَّ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ عَلَى نَفْسِهِ بِالْكَفْرِ أَوْ الظُّلْمِ أَوْ الْعِصْيَانِ، ذُو شَكٍّ وَرَيْبَةٍ وَاضْطِرَابٍ فِي شَأْنِ الْحَقِّ

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِالْبَاطِلِ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الرُّسُلُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ عِنْدَهُمْ مِنَ اللَّهِ: عَظُمَ بُغْضُ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ وَلِجِدَالِهِمْ، كَمَا طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ هَؤُلَاءِ الْمَجَادِلِينَ يَخْتِمُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ عَنِ الْحَقِّ، مُتَعَاظِمٍ عَلَى الْخَلْقِ، مُبَالِغٍ فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ

وَقَالَ فِرْعَوْنُ لَهَا مَآءَنَ: يَا هَامَانُ ابْنِ لِي بِنَاءً عَظِيمًا شَاهِقًا، رَجَاءُ الْوُصُولِ لِلطَّرْقِ وَالْأَبْوَابِ !

رجاء الوصول لطُرُق السَّمَوَاتِ وأبوابها الَّتِي تُوصِلُنِي إلى
إِلِهِ مُوسَى فَأَنْظُرْ إِلَيْهِ! وَإِنِّي لِأُظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ أَنْ
فِي السَّمَاءِ إِلَهًا! وَهَكَذَا زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ عَمَلُهُ السَّيِّئُ، فَرَأَى الْبَاطِلَ
حَسَنًا! وَمُنِعَ وَصُرِفَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَمَا احْتِيَالُ فِرْعَوْنَ
الَّذِي احْتَالَهُ لِلإِطْلَاقِ إِلَى إِلِهِ مُوسَى -بَزَعِمِهِ- إِلَّا فِي خَسَارٍ
وَهَلَاكِ لَا يَنَالُ بِهِ شَيْئًا مِمَّا أَرَادَهُ

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ نَاصِحًا لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمِ إِنْ اتَّبَعْتُمُونِي أُبَيِّنَ لَكُمْ
الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ الَّذِي تَصِلُونَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ
يَا قَوْمِ مَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ قَلِيلٌ فَإِنْ لَا يَبْقَى، وَإِنَّ
الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْخُلُودِ؛ إِمَّا فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ، أَوْ
عَذَابِ النَّارِ؛ فَاعْمَلُوا لِآخِرَتِكُمْ الَّتِي لَا زَوَالَ لَهَا، وَلَا انْتِقَالَ مِنْهَا
مَنْ عَمَلَ فِي الدُّنْيَا مَعْصِيَةً مِنَ الْمَعَاصِي كَانَتْ مَا كَانَتْ، فَلَا
يَجْزِيهِ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلَهَا بِلَا زِيَادَةٍ، فَيُعَاقِبُهُ بِمَا يَسُوُّهُ؛
جَزَاءً بِمَا عَمَلَ، وَمَنْ عَمَلَ مِنَ الْعِبَادِ -سِوَاءِ كَانَ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى-
عَمَلًا صَالِحًا، بِأَمْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ
وَرُسُلِهِ: فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ، يُرْزَقُونَ فِيهَا ثَوَابًا
كَثِيرًا لَا نَفَادَ لَهُ، بِلَا حَدٍّ وَلَا عَدٍّ

قَالَ مُؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ لِقَوْمِهِ: وَيَا قَوْمِي مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى
سَبِيلِ النِّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ، وَتَدْعُونَنِي أَنْتُمْ إِلَى طَرِيقِ النَّارِ؟!
تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَا أَعْلَمُ دَلِيلًا عَلَى صِحَّتِهِ،
وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْعَزِيزِ ذِي الْقَهْرِ وَالِانْتِقَامِ مِمَّنْ اسْتَكْبَرَ
عَنِ الْحَقِّ وَكَفَرَ بِهِ، الْبَالِغِ الْمَغْفِرَةِ لِمَنْ تَابَ إِلَيْهِ
حَقًّا يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الَّذِي تَدْعُونَنِي إِلَى عِبَادَتِهِ مِنْ
الْأَوْتَانِ: عَاجِزٌ لَا يَجِيبُ دَاعِيَهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا

شَكَكْتُ أَيْضًا أَنَّ مَرَجِعَنَا جَمِيعًا بَعْدَ مَمَاتِنَا إِلَى اللَّهِ، فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِحَسَبِ عَمَلِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَعَدَّوْا حُدُودَ اللَّهِ: هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ الْمُلَازِمُونَ لَهَا

فَسَوْفَ تَتَذَكَّرُونَ مَا نَصَحْتُكُمْ بِهِ، وَتَعْلَمُونَ صِدْقِي، وَتَتَذَمُّونَ حِينَ يَأْتِيكُمْ عَذَابُ اللَّهِ، وَأُسَلِّمُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَعْتَصِمُ بِهِ، إِنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى عِبَادِهِ، عَالِمٌ بِأَعْمَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ كُلِّهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ

فَحَفِظَ اللَّهُ مُؤْمِنَ آلِ فِرْعَوْنَ، وَدَفَعَ عَنْهُ كَيْدَهُمْ، وَنَزَلَ وَأَحَاطَ بِفِرْعَوْنَ وَاتِّبَاعِهِ مَا سَاءَ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، الَّذِي وَجَبَ عَلَيْهِمْ يُعَرَّضُونَ عَلَى النَّارِ فِي قُبُورِهِمْ كُلَّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ؛ لِيُعَذِّبُوا بِهَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: ادْخُلُوا فِرْعَوْنَ وَاتِّبَاعَهُ أَشَدَّ عَذَابِ النَّارِ

وَاذْكُرْ - يَا مُحَمَّدُ - حِينَ يَتَجَادَلُ الْكُفَّارُ وَيَتَخَاصِمُونَ فِي النَّارِ، فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ - وَهُمْ الْأَتْبَاعُ - لِرُؤُسَائِهِمِ الْمَتَّبِعِينَ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا وَتَعَاضَّمُوا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ: إِنَّا كُنَّا فِي الدُّنْيَا نَتَّبِعُكُمْ وَنُطِيعُكُمْ فِيمَا دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَحَمِّلُونَ عَنَّا قِسْطًا وَجُزْءًا مِنَ النَّارِ؟!

قَالَ الْمُسْتَكْبِرُونَ: نَحْنُ وَأَنْتُمْ جَمِيعًا مُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ، فَلَا يُؤَاخِذُ أَحَدًا بِذَنْبٍ غَيْرِهِ، وَقَسَمَ بَيْنَنَا الْعَذَابَ بِقَدْرِ مَا يَسْتَحِقُّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا

وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ لِحَزَنَةِ جَهَنَّمَ الْمَوَكِّلِينَ بِهَا: ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ عَذَابِ النَّارِ؛ فَتَحَصَّلَ لَنَا بَعْضُ الرَّاحَةِ! قَالَ لَهُمْ حَزَنَةُ جَهَنَّمَ: أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحَقِّ؟ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ: بَلَى، قَدْ جَاءَنَا

الرُّسُلُ بِالْبَيِّنَاتِ، فَكَذَّبْنَاهُمْ وَلَمْ نُؤْمِنْ بِالْحَقِّ بَعْدَ أَنْ قَامَتْ عَلَيْنَا حُجَّةُ اللَّهِ الْبَالِغَةُ إِقَالَ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ: فَادْعُوا اللَّهَ إِذْنُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ الْعَذَابَ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ لِلَّهِ وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا فِي ضَيَاعٍ؛ فَهُوَ غَيْرُ مُوَصِّلٍ لِلْمَقْصُودِ، وَلَا مُحَقِّقٍ لِلْمَطْلُوبِ؛ فَاللَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَهُمْ، وَلَا يَقْبَلُهُ مِنْهُمْ !

إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ الْأَشْهَادُ

وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ فِيهِ اعْتِدَارُهُمْ عَنْ ظُلْمِهِمْ، فَقَدْ أَعَذَّرَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا عُذْرَ مَقْبُولٍ مِنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَلِلظَّالِمِينَ الْبُعْدُ وَالطَّرْدُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُمْ مُسْتَحِقُّونَ ذَلِكَ، وَلَهُمْ مَعَ ذَلِكَ النَّارُ الَّتِي تَسُوءُ مَنْ يَسْكُنُهَا، فَيُنْسَ الْمَنْزِلُ

هِيَ

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى مَا يُهْتَدَى بِهِ، وَأَنْزَلْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ التَّوْرَةَ وَجَعَلْنَاهَا كِتَابًا مَتَوَارَتًا بَيْنَهُمْ

بَيِّنَاتٍ لِلْحَقِّ وَتَذْكَيرًا مِّنَّا بِهِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ مِنْهُمْ

فَاصْبِرْ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى أَدَى الْكُفَّارِ وَتَعَنُّيْهِمْ، وَعَلَى دَعْوَتِهِمْ؛ فَإِنَّ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: آتٍ لَا مَحَالَةَ، كَمَا نَصَرَ اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَاطْلُبْ مِنْ رَبِّكَ مَغْفِرَةً دُنْيَاكَ، وَنَزْهَ رَبِّكَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ تَنْزِيهًا مُفْتَرًى بِوَصْفِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ؛ مُحَبَّةً وَتَعْظِيمًا لَهُ سُبْحَانَهُ، وَذَلِكَ فِي آخِرِ النَّهَارِ وَأَوَّلِهِ

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ وَيُخَاصِمُونَ بِالْبَاطِلِ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَحُجَجِهِ؛ بَغِيرِ دَلِيلٍ عِنْدَهُمْ مِنَ اللَّهِ: فِي صُدُورِهِمْ كِبَرٌ وَتَعَاضُطٌ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ، وَاحْتِقَارٌ لِمَنْ جَاءَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، وَلَنْ يَنَالُوا

الاستِعْلَاءَ وَالرَّفْعَةَ وَالْعِظْمَةَ الَّتِي أَمْلَوْهَا فِي الدُّنْيَا؛ فَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينَهُ، وَمُعَلِّ كَلِمَتِهِ، فَاعْتَصِمُوا بِاسْتِجَارَةِ اللَّهِ -يَا مُحَمَّدٌ-، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ لِقَوْلِ الْمُجَادِلِينَ فِي آيَاتِ اللَّهِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ؛ الْبَصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَهُ وَبِكُلِّ شَيْءٍ؛ فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَصْوَاتِ الْخَلْقِ وَذَوَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ

لَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَعْظَمَ مِنْ خَلْقِهِ النَّاسَ، فَكَيْفَ يَعْجِزُ عَنْ خَلْقِهِمْ خَلْقًا جَدِيدًا بَعْدَ أَمَاتِهِمْ؟! فَمَنْ قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ الْأَجْرَامِ الْعَظِيمَةِ وَأَتَقَنَهَا: قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ بِطَرِيقِ الْأُولَى، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، فَلَا يَتَذَكَّرُونَ وَلَا يَتَأَمَّلُونَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ يَسِيرٌ عَلَى اللَّهِ !

وَلَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى الَّذِي لَا يُبْصِرُ، وَالْمُبْصِرُ الَّذِي يَرَى؛ فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَوِي الْكَفَرَةُ الْفُجَّارُ، وَالْمُؤْمِنُونَ الْأَبْرَارُ، وَلَا يَسْتَوِي الْمُؤْمِنُونَ الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ، مَعَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ، مَا أَقَلَّ مَا تَتَذَكَّرُونَ حُجَجَ اللَّهِ، فَتَتَعِظُونَ وَتَعْتَبِرُونَ! فَلَوْ تَذَكَّرْتُمْ وَاعْتَبَرْتُمْ لَأَثَرْتُمْ الْهَدَى عَلَى الضَّلَالِ إِنَّ الْقِيَامَةَ لَأَتِيَةٌ لَا شَكَّ فِي وَقْعِهَا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَجِيءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ فَهُمْ يُكَذِّبُونَ بِهِ

وَقَالَ رَبُّكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ-: ادْعُونِي دَعَاءَ مَسْأَلَةٍ وَدَعَاءَ عِبَادَةٍ؛ أُعْطِكُمْ سُؤْلَكُمْ، وَاتَّقِبَلْ مِنْكُمْ عِبَادَتَكُمْ، وَأُثْبِتْكُمْ، إِنَّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ وَيَتَعَظَّمُونَ عَنْ عِبَادَتِي وَدُعَائِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ وَهُمْ أَذِلَّةٌ صَاغِرُونَ

اللَّهُ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ اللَّيْلَ -أَيُّهَا النَّاسُ-؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْتَرِيحُوا فِيهِ مِنْ حَرَكَةِ وَعْنَاءِ أَشْغَالِكُمْ فِي النَّهَارِ، وَجَعَلَ لَكُمْ النَّهَارَ مُضِيًّا تُبْصِرُونَ فِيهِ؛ لِتَطْلُبُوا فِيهِ

حوائجكم وتقضوها، إِنَّ اللَّهَ لَمُتَفَضِّلٌ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً، وفضله عليهم عظيمٌ لا يُدانيه فضلٌ، وهذا يُوجبُ عليهم شكره، ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ

ذَلِكُمُ الْمُتَفَرِّدُ بِإِجَابَةِ دُعَائِكُمْ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا: هُوَ وَحْدَهُ اللَّهُ الْمَرْبِّيُّ لَكُمْ، وَالْمُحْسِنُ إِلَيْكُمْ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا تَنْبَغِي الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ سُبْحَانَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، فَكَيْفَ تُصْرَفُونَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَعَ قِيَامِ الْأَدِلَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ؟!

مِثْلُ هَذَا الصَّرْفِ الْعَجِيبِ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ يُصْرَفُ أَيْضًا كُلُّ مَنْ اسْتَمَرَّ عَلَى جُحُودِ آيَاتِ اللَّهِ عِنَادًا وَمُكَابَرَةً، دُونَ تَأَمُّلٍ وَتَدَبُّرٍ فِي مَعَانِيهَا وَدَلَالِهَا !

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مُهَيَّأَةً لِلِاسْتِقْرَارِ عَلَيْهَا دُونَ اضْطِرَابٍ، فَتَتَمَكَّنُونَ مِنَ السُّكْنَى فِيهَا، وَحَزْرِثَا وَغَرْسِهَا وَالْبِنَاءِ عَلَيْهَا، وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمَاءَ بِنَاءً مَرْفُوعًا وَسَقْفًا لِلْأَرْضِ، وَخَلَقَكُمْ فَجَعَلَكُمْ فِي أَشْكَالٍ حَسَنَةٍ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ الشَّهِيَّةِ اللَّذِيذَةِ النَّافِعَةِ، ذَلِكَ الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَفْعَالَ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ النِّعَمِ هُوَ اللَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ غَيْرِهِ، رَبُّكُمْ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمَالِكُ الْمُدَبِّرُ لَجَمِيعِ شُؤْنِكُمْ، فَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ، وَكَثُرَ خَيْرُهُ وَإِحْسَانُهُ: اللَّهُ خَالِقُ وَمَالِكُ وَرَازِقُ وَمُدَبِّرُ جَمِيعِ الْخَلْقِ

اللَّهُ هُوَ الَّذِي لَهُ الْحَيَاةُ الْكَامِلَةُ؛ فَلَمْ يَسِيقْ حَيَاتُهُ عَدَمًا، وَلَا يَلْحَقْهَا زَوَالٌ؛ فَهُوَ أَزَلًا وَأَبَدًا حَيٌّ لَا يَمُوتُ، لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ، فَادْعُوهُ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الطَّاعَةَ بِلَا رِيَاءٍ، غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، خَالِقِ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَمَالِكِهِمْ وَمُدَبِّرِهِمْ

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لِمُشْرِكِي قَوْمِكَ: إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ إِلَهَةَ الَّتِي تَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَتْني الْآيَاتُ الْوَاضِحَاتُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي دَالَّةٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَنْقَادَ وَأَسْتَسْلِمَ وَأُذِلَّ وَأَخْضَعَ بِالطَّاعَةِ لِخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ وَمَالِكِهِ وَمُدَبِّرِهِ

اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَ أَبَاكُمْ آدَمَ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ خَلَقَكُمْ مِنْ مَنِيِّ، ثُمَّ مِنْ قِطْعَةٍ دَمٍ جَامِدَةٍ تَعْلُقُ بِرَحِمِ الْمَرْأَةِ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ أَطْفَالًا صِغَارًا، ثُمَّ لِيَتَبَلَّغُوا بِالتَّدْرِيجِ تَمَامَ قُوَّتِكُمْ وَعُقُولِكُمْ، ثُمَّ لِيَتَكُونُوا كِبَارًا فِي السِّنِّ ضُعَفَاءَ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَلِيَتَبَلَّغُوا زَمَنًا مُحَدَّدًا تَمُوتُونَ فِيهِ، لَا تَتَجَاوَزُونَهُ، وَلَا تَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهِ، وَلِيَتَعْقِلُوا حُبَجَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ، فَتُوجِّدُوهُ وَتَعْلَمُوا كَمَالَ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ

اللَّهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ؛ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ سِوَاهُ، فَإِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً: كُنْ، فَيَكُونُ مَا أَرَادَهُ

أَلَمْ تَرَ -يا مُحَمَّدٌ- إِلَى مُشْرِكِي قَوْمِكَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ وَيُخَاصِمُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ؛ فَتَعَجَّبَ كَيْفَ تُصَرِّفُ عُقُولَهُمْ عَنِ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ؟!

وَهُم الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ، وَكَذَّبُوا بِالَّذِي أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِمْ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ حِينَ تُجْعَلَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
وَالسَّلَاسِلُ، فَيُجْرُونَ إِهَانَةً وَتَعْذِيبًا لَهُمْ !

يُسْحَبُونَ فِي الْمَاءِ الْحَمِيمِ الَّذِي اشْتَدَّ غَلْيَانُهُ، وَانْتَهَى حَرُّهُ، ثُمَّ يُطْرَحُونَ فِي النَّارِ فَيَكُونُونَ وَقودًا لَهَا، فَتُحْمَى بِهِمْ

ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: أَيْنَ آلَهُكُمْ الَّتِي كُنْتُمْ تَجْعَلُونَهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي عِبَادَتِهِ؛ لِنُتَقَذَّكُمْ الْيَوْمَ مِنَ الْعَذَابِ!؟

قَالُوا: غَابُوا عَنَّا، فَتَرَكُونَا فِي الْعَذَابِ، وَلَمْ يَنْفَعُونَا بِشَيْءٍ، بَلْ لَمْ نَكُنْ أَصْلًا نَعْبُدُ فِي الدُّنْيَا أَيَّ شَيْءٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ! كَهَذَا الضَّلَالِ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ

يُقَالُ لَهُمْ: ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنْكُمْ كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَفْرَحُونَ بِالْبَاطِلِ، وَكُنْتُمْ فِي أَشْرٍ وَبَطَرٍ وَاخْتِيَالٍ وَزَهْوٍ بِالْبَاطِلِ

يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ السَّبْعَةَ مَاكِثِينَ فِيهَا أَبَدًا، فَبِئْسَ مَازَلُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنِ الْحَقِّ: جَهَنَّمَ يُقِيمُونَ فِيهَا إِقَامَةً دَائِمَةً!

فَاصْبِرْ -يَا مُحَمَّدُ- عَلَى أذى الْكُفَّارِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مُنَجِّزٌ -لَا مَحَالَةَ- مَا وَعَدَكَ بِهِ مِنْ عُقُوبَةِ الْكَافِرِينَ، وَنَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ ثُرَكَ بَعْضِ الْعَذَابِ الَّذِي نَعُدُّ بِهِ الْكُفَّارَ فِي الدُّنْيَا، وَنُعَجِّلُ بِهِ فِي حَيَاتِكَ؛ أَوْ نُمِتْكَ قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ ذَلِكَ: فَإِلَيْنَا مَصِيرُهُمْ وَعَلَيْنَا حِسَابُهُمْ، فَيَنَالُونَ حَيْثُهَا نَصِيبُهُمْ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا -يَا مُحَمَّدُ- إِلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ يَدْعُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ أَوْلَئِكَ الرُّسُلِ مَنْ أَنْبَأْنَاكَ بِقَصَصِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نُنَبِّئَكَ بِقَصَصِهِمْ وَلَا أَخْبَارِهِمْ، وَلَيْسَ لِأَيِّ رَسُولٍ مِنَ رُسُلِ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ النَّاسَ بَآيَةٍ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ وَصِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَشِيتِهِ، فَإِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمَحْدَدُ لِلْفَصْلِ بَيْنَ الرُّسُلِ وَأَقْوَامِهِمْ، قَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ، وَهَلَكَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ الْمُتَّبِعُونَ لِلْبَاطِلِ؛ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ

اللَّهُ الْمُسْتَحَقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ؛ فَمِنْهَا تَرْكَبُونَ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ

وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ مَنَافِعُ؛ فَتَنَازِلُونَ مِنْهَا لِبَاسًا وَأَتَانًا، وَتَنَنَّفَعُونَ بِنَسْلِهَا وَالْجِرَاثَةِ بِهَا... وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَلِتُسَافِرُوا عَلَيْهَا إِلَى أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ مِمَّا فِي صُدُورِكُمْ حَاجَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا، وَعَلَى الْأَنْعَامِ فِي الْبَرِّ، وَعَلَى السُّفُنِ فِي الْبَحْرِ تَرْكَبُونَ، وَتَحْمِلُونَ مَتَاعَكُمْ

وَيُرِيكُمْ اللَّهُ آيَاتِهِ الدَّالَّةَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ، فَيُظْهِرُهَا وَيُجَلِّيْهَا لَكُمْ، فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تَقْدِرُونَ عَلَى إِنكَارِهَا وَعَدَمِ الْإِعْتِرَافِ بِهَا، حَتَّى يَحَقَّ لَكُمْ اتِّبَاعُ الْبَاطِلِ أَوْ الْمَجَادَلَةُ فِي الْحَقِّ؟! فَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَكُمْ أَنَّ جَمِيعَ الْآيَاتِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَمْ يَبْقَ مَجَالٌ لِإِنكَارِهَا أَوْ الْإِعْرَاضِ عَنْهَا !

أَفَلَمْ يَسِرْ أَوْلُنَاكَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدٌ- فِي الْأَرْضِ، فَيَنْظُرُوا بِأَعْيُنِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُوا بِقُلُوبِهِمْ: كَيْفَ كَانَتْ خَاتِمَةُ أَمْرِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَيَعْتَبِرُوا بِهَا؟! كَانَ كُفَّارُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ أَكْثَرَ عِدَدًا مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَأَشَدَّ قُوَّةً مِنْهُمْ، وَأَعْظَمَ أَثَارًا فِي الْأَرْضِ، فَمَا دَفَعَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا شِدَّةُ قُوَّتِهِمْ، وَلَا عِظَمُ أَثَارِهِمْ

فَلَمَّا جَاءَتْ أَوْلُنَاكَ الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ رُسُلُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ الْوَاضِحَاتِ، وَالْبَرَاهِينَ الْقَاطِعَاتِ، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَفَرَحَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، وَرَضُوا بِهِ، وَنَزَلَ وَأَحَاطَ بِالْكَافِرِينَ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيُكَذِّبُونَ بِوُقُوعِهِ فَلَمَّا رَأَوْا عَذَابَ اللَّهِ نَازِلًا بِهِمْ قَالُوا: آمَنَّا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، فَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، وَكَفَرْنَا بِالْأَلِهَةِ الَّتِي كُنَّا نَعْبُدُهَا، وَتَبَرَّأْنَا مِنْهَا

فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ إِيْمَانُهُمْ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ حِينَ رَأَوْا عَذَابَهُ نَازِلًا بِهِمْ إِسِّنَ
اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْكَافِرِينَ حِينَ تُزَوَّلُ الْعَذَابُ، وَلَا
يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ، وَقَدْ مَضَتْ هَذِهِ السُّنَّةُ وَالطَّرِيقَةُ
فِي عِبَادِهِ، وَهَلْكَ عِنْدَ مَجِيءِ عَذَابِ اللَّهِ الْكَافِرُونَ بِرَبِّهِمْ،
الْمُشْرِكُونَ فِي عِبَادَتِهِ، فَمَا رَبَّحْتَ تِجَارَتَهُمْ

هَذَانِ الْحَرْفَانِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقْطَعَةِ الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهَا بَعْضُ
سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِبَيَانِ إِعْجَازِ هَذَا الْقُرْآنِ؛ حَيْثُ تُظْهَرُ عِزُّ
الْخَلْقِ عَنِ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ
الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ بِهَا

هَذَا الْقُرْآنُ مُنْزَلٌ عَلَى مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الَّذِي وَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ؛ وَمِنْ رَحْمَتِهِ
بِعِبَادِهِ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ

هَذَا كِتَابٌ بَيَّنَّ اللَّهُ آيَاتِهِ بَيَانًا تَامًّا وَاضِحًا حَالِ كَوْنِهِ قِرَاءًا
عَرَبِيًّا، لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ، فَيَتِمَكَّنُونَ مِنْ فَهْمِهِ وَتَدْبُرِهِ
وَالْإِنْتِفَاعِ بِبَيَانِهِ

يُبَشِّرُ الْقُرْآنُ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ بِحُصُولِ الْخَيْرِ
وَالرَّحْمَةِ، وَيُنْذِرُ مَنْ كَفَرَ وَعَمِلَ السَّيِّئَاتِ بِالشَّرِّ وَالنِّقْمَةِ،
فَاعْرَضَ أَكْثَرُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ عَنْ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَتَدْبُرِهِ وَاتِّبَاعِهِ،
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَهُ سَمَاعَ قَبُولٍ وَإِنْتِفَاعٍ

وَقَالَ الْمُعْرِضُونَ عَنِ الْقُرْآنِ: قُلُوبُنَا الَّتِي نَعْمَلُ بِهَا فِي أُغْطِيَةِ
مُحِيطَةٍ بِهَا، تَمْنَعُ عَنَّا فَهْمَ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، يَا مُحَمَّدُ! وَفِي آذَانِنَا
ثِقَلٌ قَدْ أَصَمَّهَا عَنِ السَّمَاعِ؛ فَحَنَّا لَا نَسْمَعُ مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ! وَمِنْ
بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حَاجِرٌ يَحْجُبُنَا عَنْكَ؛ فَحَنَّا لَا نَرَاكَ! فاعْمَلْ -يَا

مُحَمَّدٌ- بدينِكَ، إِنَّا عَامِلُونَ بِدِينِنَا الَّذِي رَضِينَاه لِأَنفُسِنَا، فَلن
نَتَّبِعَكَ

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا أَنَا مِثْلُكُمْ فِي الْجِنْسِ وَالْهَيْئَةِ،
وَالصُّورَةِ وَالصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ،

يُوحَى إِلَيَّ أَنَّ مَعْبُودَكُمْ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ
وَخَدَهُ، فَاسْلُكُوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُوَصِّلَ إِلَى اللَّهِ، مُتَوَجِّهِينَ
إِلَيْهِ بِاخْلَاصٍ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَاطْلُبُوا مِنْهُ الْمَغْفِرَةَ لَذُنُوبِكُمْ، وَهَلَاكُ
وَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِلَّذِينَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ

الَّذِينَ لَا يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ وَلَا يُطَهِّرُونَهَا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ،
وِطَاعَتِهِ وَخَدَهُ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالبُعْدِ عَنِ الْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ
وَمَعْصِيَتِهِ، وَهُمْ مُنْكَرُونَ لِلْآخِرَةِ، جَاذِبُونَ بِهَا، فَلَا يُؤْمِنُونَ
بِالْحَيَاةِ الْآخِرَى بَعْدَ الْمَوْتِ

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ
الصَّالِحَةَ بِاخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَمُتَابَعَةٍ لِشَرْعِهِ؛ لَهُمْ أَجْرٌ دَائِمٌ،
وَنَوَابٌ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ

قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَ
الْأَرْضَ عَلَى سَعَتِهَا وَعَظَمَتِهَا مِنَ الْعَدَمِ فِي يَوْمَيْنِ، وَتَجْعَلُونَ
لَهُ نُظْرَاءَ وَأَمْثَالًا تَتَّخِذُونَهُمْ آلِهَةً مَعَهُ؟! ذَلِكَ الْعَظِيمُ الَّذِي فَعَلَ
ذَلِكَ: هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ، الْمَالِكُ الْمَدِيرُ لَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ

وَجَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْأَرْضِ جِبَالًا ثَوَابِتَ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهَا،
وَبَارَكَ فِي الْأَرْضِ بِمَا خَلَقَ فِيهَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْخَيْرَاتِ الْكَثِيرَةِ
الدَّائِمَةِ لِأَهْلِهَا، وَخَلَقَ فِيهَا أَرْزَاقَهَا لِلنَّاسِ وَالْدَّوَابِّ، وَذَلِكَ فِي
يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، فَهَمَا مَعَ الْيَوْمَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَرْبَعَةُ أَيَّامٍ اسْتَوَتْ

استواءً، فلا زيادةً على ذلك ولا نقصان، بَيَّنَّا ذلك لِمَنْ سَأَلَ فِي كَمْ خُلِقَتِ الْأَرْضُ بِمَا فِيهَا

ثُمَّ ارْتَفَعَ اللَّهُ وَعَلَا قاصِدًا إِلَى خَلْقِ السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ، فَقَالَ لِلْسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَهُمَا: اسْتَجِيبَا لِأَمْرِي، وَانْقَادَا لِطَاعَتِي اخْتِيَارًا أَوْ جَبْرًا، قَالَتِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ: اسْتَجَبْنَا لِأَمْرِكَ، وَانْقَدْنَا لَطَاعَتِكَ، فَلَا نَخَالِفُ إِرَادَتَكَ رَبَّنَا

فَفَرَّغَ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ، وَأَكْمَلَهُنَّ وَأَتَمَّهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ، وَأَمَرَ اللَّهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ بِمَا أَرَادَهُ مِنَ الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَرَزَى اللَّهُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِالنُّجُومِ الْمُنِيرَةِ، وَحَفِظَهَا بِهَذِهِ النُّجُومِ مِنَ الشَّيَاطِينِ الْمُسْتَرْقَةِ لِلسَّمْعِ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى، ذَلِكَ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ: هُوَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ ذِي الْقُدْرِ الْعَظِيمِ، الْقَاهِرِ الْغَالِبِ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْمُمْتَنِعِ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ؛ الْعَلِيمِ بِكُلِّ شَيْءٍ

فَإِنْ أَعْرَضَ مُشْرِكُو قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدُ- عَنِ الْحَقِّ فَلَمْ يُؤْمِنُوا، وَأَصْرُوا عَلَى بَاطِلِهِمْ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ النَّامِ؛ فَقُلْ لَهُمْ: حَدِّثْكُمْ وَخَوْفُكُمْ عَذَابًا شَدِيدًا وَقَعُهُ، فِيهِلْكُمْ وَيَسْتَأْصِلْكُمْ كَالْعَذَابِ الَّذِي أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ عَادًا وَثَمُودَ

وَذَلِكَ حِينَ جَاءَتْ عَادًا وَثَمُودَ رُسُلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَاجْتَهَدُوا فِي دَعْوَتِهِمْ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالْأَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، قَالَ كُفَّارُ عَادٍ وَثَمُودَ لِرُسُلِهِمْ: لَوْ شَاءَ رَبُّنَا أَنْ يَأْمُرَنَا بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَأَرْسَلَ إِلَيْنَا مَلَائِكَةً مِنَ السَّمَاءِ يَأْمُرُونَنَا بِذَلِكَ، وَلَمْ يُرْسِلْ إِلَيْنَا بَشَرًا مِثْلَنَا إِفَانَا -إِذَنْ- كَافِرُونَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّهُ أَرْسَلَكُمْ بِهِ !

فَأَمَّا عَادٌ فَتَكَبَّرُوا وَتَجَبَّرُوا وَعَتَوُا فِي الْأَرْضِ ظُلُمًا دُونَ أَنْ
يَكُونَ لَهُمُ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ، وَقَالُوا: لَا أَحَدَ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً! أَوَلَمْ يَرِ
كُفَّارُ عَادٍ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنَ الْعَدَمِ -حَيْثُ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا-،
وَأَعْطَاهُمْ مَا أَعْطَاهُم مِنَ الْقُوَّةِ: هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً؟! وَكَانُوا
مُصِرِّينَ عَلَى الْجُحُودِ بآيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ رُسُلِهِ فِيمَا
دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا عَظِيمَةً بَارِدَةً، شَدِيدَةً الصَّوْتِ
وَالْهُبُوبِ، فِي أَيَّامٍ مَشْهُومَاتٍ عَلَيْهِمْ، أَصَابَهُمْ فِيهَا سُوءٌ وَعَذَابٌ
شَدِيدٌ؛ لَكِي نَذِيقَهُمُ الْعَذَابَ الَّذِي يُهَيِّئُهُمْ وَيُذْلَعُهُمْ وَيَفْضَحُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ خِرْيًا، وَأَعْظَمُ إِهَانَةً وَإِذْلَالًا
لَهُمْ، وَلَا يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللَّهِ نَاصِرٌ؛ فَيُدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابُهُ، أَوْ يُنْقَذَهُمْ
مِنْهُ!

وَأَمَّا ثَمُودُ فَارْشَدْنَاهُمْ وَدَلَّلْنَاهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، فَاخْتَارُوا
وَأَنْزَرُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَالضَّلَالَ عَلَى الْهُدَى، مَعَ تَبَيُّنٍ
الْحَقِّ لَهُمْ! فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِصِيْحَةِ عَذَابٍ أَذْلَعَهُمْ وَأَهَانَهُمْ بِسَبَبِ مَا
كَانُوا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الْآثَامِ؛ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَمَعْصِيَتِهِمْ لَهُ، وَتَكْذِيبِهِمْ
رَسُولَهُ، وَعَقْرِهِمُ النَّاقَةَ

وَنَجَّيْنَا مِنَ الْعَذَابِ صَالِحًا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَانُوا
يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَيَمْتَثِلُونَ أَمْرَهُ، وَيَجْتَنِبُونَ الشِّرْكَ بِهِ
وَمَعْصِيَتَهُ

وَإِذْكَرُ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ أَعْدَاءَهُ الْكَافِرِينَ بِهِ، فَيُحْبَسُ أَوَّلُهُمْ عَلَى
آخِرِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعُوا وَيُسَاقُوا إِلَى النَّارِ سَوْقًا غَنِيًّا!
حَتَّى إِذَا جَاءَ الْكُفَّارُ النَّارَ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ آثَامٍ

وقال الْكُفَّارُ عِتَابًا لِّجُلُودِهِمْ، وَإِنْكَارًا عَلَيْهِمْ: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا بِمَا كُنَّا نَعْمَلُهُ مِنَ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا؟! فَأُجَابَتْ الْجُلُودُ أَصْحَابَهَا: أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ! وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا؛ فَالَّذِي قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَى إِنْطَاقِ الْجُلُودِ، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، فَيُجَازِيكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَمَا كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تَسْتَخْفُونَ بِتَرْكِ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي؛ لِنَآلِ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِنَ السَّيِّئَاتِ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهَا

وظَنُّكُمْ السَّيِّئُ هَذَا قَدْ أَهْلَكَكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْهَالِكِينَ

فَإِنْ يَصْبِرْ أُولَئِكَ الْكُفَّارُ عَلَى النَّارِ، فَالنَّارُ مَسْكَنٌ لَهُمْ وَمُسْتَقَرٌّ، وَلَا مَخْرَجَ لَهُمْ مِنْهَا أَبَدًا، وَإِنْ طَلَبُوا مِنَ اللَّهِ الرِّضَا عَنْهُمْ، وَقَبُولَ تَوْبَتِهِمْ وَرَفَعَ الْعَذَابِ عَنْهُمْ؛ فَلَنْ يَرْضَى عَنْهُمْ، وَلَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَاعْتِذَارَهُمْ، وَلَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنَ النَّارِ وَهَيَّأْنَا لِلْكَفَّارِ فُرْنَاءَ سُوءٍ، قَدَّرْنَا عَلَيْهِمْ مُلَازِمَتَهُمْ لَهُمْ لِيُضِلُّوهُمْ؛ بِسَبَبِ جُحُودِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ، فَحَسَنُوا لَهُمُ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا الْمُحَرَّمَةَ، حَتَّى أَثَرَوْهَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَحَسَنُوا لَهُمُ التَّكْذِيبَ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ عَذَابُ اللَّهِ الَّذِي قَدَّرَهُ عَلَى الْكَافِرِينَ، فِي جُمْلَةِ أُمَّمٍ قَدْ مَضَتْ قَبْلَهُمْ مِنَ كُفَّارِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، إِنَّ الْأُمَّمَ الَّتِي وَجَبَ عَلَيْهَا عَذَابُ اللَّهِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مِنَ السَّابِقِينَ وَاللَّاحِقِينَ: كَانُوا مَغْبُونِينَ بِبَيْعِهِمْ رِضَا اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ بِسَخَطِهِ وَعَذَابِهِ، وَخَسِرُوا أَعْمَالَهُمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، وَخَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

وقال كُفَّارٌ قُرَيْشٍ: لَا تُنصِتُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ فَتَنَقَّدُوا لَهُ، انْثُوا
بِاللَّغْوِ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ، وَتَكَلَّمُوا بِالْبَاطِلِ مِنَ الْقَوْلِ إِذَا سَمِعْتُمْ قَارِنَهُ
يَقْرُؤُهُ؛ رَجَاءُ أَنْ تَغْلِبُوا بِذَلِكَ مُحَمَّدًا وَاتِّبَاعَهُ
فَلَنُذِيقَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ عَذَابًا شَدِيدًا، وَلَنُنَبِّئَنَّهُمْ
جَزَاءَ أَسْوَأَ مَا كَانُوا يُوَاطِبُونَ عَلَى عَمَلِهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ
ذَلِكَ الْعَذَابُ الَّذِي نَجْزِي بِهِ الْكُفَّارَ: هُوَ النَّارُ، لَهُمْ فِي النَّارِ
دَارُ الْخُلُودِ وَالْمُكْتَبُ الدَّائِمُ إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ، جَازَيْنَاهُمْ بِذَلِكَ؛ بِسَبَبِ
أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَكْفُرُونَ وَيُكْذِبُونَ بَآيَاتِنَا
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: يَا رَبَّنَا أَرْنَا مَنْ أَضَلَّنَا عَنِ الْحَقِّ مِنْ
شَيَاطِينِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْ هَذَيْنِ الَّذِينَ أَضَلَّانَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا؛
لِيَكُونَا دُونَنَا، وَأَسْفَلَ مِنَّا فِي النَّارِ، وَأَشَدَّ مِنَّا فِي الْعَذَابِ، فَنَشْتَفِي
مِنْهُمَا!

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا نُطَقًا بِالْإِسْنَتِهِمْ، وَاعْتِقَادًا بِقُلُوبِهِمْ: رَبُّنَا اللَّهُ
وَحْدَهُ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَامْتَثَلُوا أَمْرَهُ، وَاجْتَنَبُوا
نَوَاهِيَهُ، وَدَاوَمُوا عَلَى طَاعَتِهِ بِإِخْلَاصٍ لَهُ، وَمُؤَافَقَةٍ لِشَرْعِهِ،
أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْتَقِيمُونَ تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ بَأْنَ لَا تَخَافُوا
مِمَّا يُسْتَقْبَلُ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا مَضَى، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ بِدُخُولِهَا فِي كُتُبِ اللَّهِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ؛ جَزَاءُ
إِيمَانِكُمْ بِاللَّهِ، وَاسْتِقَامَتِكُمْ عَلَى دِينِهِ
نَحْنُ نَتَوَلَّاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَنَتَوَلَّاهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَيْضًا،
وَلَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ مَا تَشْتَهِيهِ أَنْفُسُكُمْ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَطْلُبُونَهُ
وَتَتَمَنَّوْنَهُ

هَذَا الثَّوَابُ الْعَظِيمُ فِي الْآخِرَةِ تُعْطَوْنَهُ ضِيَافَةً وَإِكْرَامًا مِنْ
اللَّهِ الْغَفُورِ السَّاتِرِ لِدُنُوبِكُمْ، الْمُتَجَاوِزِ عَنْ عُقُوبَتِكُمْ؛ الرَّحِيمِ بِكُمْ

وَلَا أَحَدٌ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ،
وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ، وَمُتَابَعَةٍ لِشَرِّعِهِ، وَقَالَ: إِنِّي
مِنَ الْمُسْتَسْلِمِينَ لِلَّهِ، الْمُقَرَّرِينَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، الْخَاضِعِينَ لَهُ،
الْمُنْقَادِينَ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ

وَلَا تَسْتَوِي الْخَصْلَةُ الْحَسَنَةُ مَعَ الْخَصْلَةِ السَّيِّئَةِ فِي الْجَزَاءِ
وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ، فَادْفَعْ -يَا مُحَمَّدُ- سَيِّئَةَ النَّاسِ بِالْخَصْلَةِ الَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ الْخِصَالِ؛ فَأَحْسِنُ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَادْعُهُمْ بِالْحِكْمَةِ
وَالرِّفْقِ، وَاللِّينِ وَحُسْنِ الْخِطَابِ، وَاحْلُمْ عَلَيْهِمْ، وَاصْفَحْ عَنْهُمْ،
وَاصْبِرْ عَلَى أَذَاهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ صَارَ مَنْ هُوَ عَدُوٌّ لَكَ
كَأَنَّهُ صَدِيقٌ شَدِيدُ الْوَلَاءِ لَكَ، يُحِبُّكَ وَيُشْفِقُ عَلَيْكَ، وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ
وَيُنَاصِرُكَ

وَمَا يُعْطَى هَذِهِ الْخَصْلَةُ الشَّرِيفَةُ -وهي مُقَابَلَةُ الْإِسَاءَةِ
بِالْإِحْسَانِ- وَيُوقَفُ لِلْعَمَلِ بِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَمَا
يُعْطَاهَا إِلَّا ذُو نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ الْخَيْرِ
وَإِنْ وَجَدْتَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَسْوَسةً فِي نَفْسِكَ -يَا مُحَمَّدُ-؛ لِيُفْسِدَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَيُغَيِّرِكَ بِعَدَاوَتِهِ، وَالْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ؛ فَالْتَجِئْ إِلَى
اللَّهِ، وَاطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يَعِصِمَكَ مِنْهُ، وَيَحْفَظَكَ مِنْ كَيْدِهِ وَشَرِّهِ، إِنَّ
اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِيدُ بِهِ مِنْ نَزْعِ الشَّيْطَانِ: هُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ قَوْلٍ، وَمِنْ
ذَلِكَ اسْتِعَاذَتُكَ بِهِ؛ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِمَا يُلْقِيهِ
الشَّيْطَانُ فِي نَفْسِكَ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ كَيْدُهُ، وَهُوَ يَتَوَلَّى أَمْرَهُ
وَجَزَاءَهُ

وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وُجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ
وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي
تَعَاظُفِهِمَا، وَاخْتِلَافُهُمَا فِي الظَّلَامِ وَالضِّيَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَمِنْ

آيَاتِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي دَوَرَانِهِمَا الْمُسْتَمِرَّ بَانْتِظَامٍ، وَتَقْدِيرِ
مَنَازِلِهِمَا لِمَصَالِحِ الْأَنَامِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعِهِمَا وَعَجَائِبِهِمَا،
لَا تَسْجُدُوا -أَيُّهَا النَّاسُ- لِلشَّمْسِ، وَلَا تَسْجُدُوا لِلْقَمَرِ؛ فَهُمَا
مُدَبَّرَانِ مُسَخَّرَانِ، وَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَحْدَهُ الَّذِي خَلَقَهُنَّ، إِنْ كُنْتُمْ
تَعْبُدُونَهُ وَتَذَلُّونَ لَهُ بِالطَّاعَةِ حَقًّا

فَإِنَّ تَكْبَرَ الْمُشْرِكُونَ وَتَعَاضَمُوا عَنْ إِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ
وَالسُّجُودِ لَهُ وَحْدَهُ، فَلَهُ عِبَادٌ آخَرُونَ هُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
-يَا مُحَمَّدٌ-، فَهُمْ يُنْزِلُونَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَهُمْ لَا يَمْلُونَ مِنْ ذَلِكَ
وَمِنْ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ تَعَالَى عَلَى إِحْيَاءِ
الْمَوْتَى وَغَيْرِ ذَلِكَ: أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ يَابِسَةً مُجْدِبَةً لَا نَبَاتَ فِيهَا
وَلَا زَرْعَ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا الْمَاءَ عَلَى تِلْكَ الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ تَحَرَّكَتْ
وَارْتَفَعَتْ، إِنَّ الَّذِي أَحْيَا تِلْكَ الْأَرْضَ الْخَاشِعَةَ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا
النَّبَاتَ وَالزَّرْعَ بِالْمَطَرِ: لِقَادِرٍ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
إِنَّ اللَّهَ ذُو قُدْرَةٍ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ كَائِنًا مَا كَانَ
إِنَّ الَّذِينَ يَمِيلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ عَنِ الْحَقِّ -كَأَن يُكْذِبُوا بِهَا
وَيُنْكِرُوهَا، أَوْ يُحَرِّفُوا مَعَانِيَهَا عَنِ الصَّوَابِ- لَا يَخْفَوْنَ عَلَى اللَّهِ
تَعَالَى؛ فَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِمْ، وَسَوْفَ يُجَازِيهِمْ عَلَى إِحَادِهِمْ، فَيُلْقِيهِمْ
فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْنَ يُلْقَى فِي النَّارِ فَيُعَذَّبُ فِيهَا خَيْرٌ أَمْ مَنْ
يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْنًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ لِكُونِهِ أَمَنَ بِآيَاتِهِ وَلَمْ يُلْحِذْ
فِيهَا؟! أَيْسَتَوِي هَذَا وَهَذَا؟! لَا يَسْتَوِيَانِ، اْعْمَلُوا -أَيُّهَا
الْمُشْرِكُونَ- مَا سِئَلْتُمْ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ -
سُبْحَانَهُ- شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَيْهَا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْقُرْآنِ حِينَ جَاءَهُمْ: هُمُ الْخَاسِرُونَ الْأَذَلُّونَ
الْأَسْفَلُونَ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ أَعَزَّهُ اللَّهُ وَحَفِظَهُ مِنْ

الباطل، وَمِنْ كُلِّ تَبْدِيلٍ وَتَحْرِيفٍ، وَمُمْتَنِعٌ عَنِ الْخَلْقِ أَنْ يَقُولُوا
مِثْلَهُ، أَوْ يَغْلِبُوا حُجَجَهُ

ليس للبطلان من سبيل إلى القرآن، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ يَضَعُ
كُلَّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ اللَّائِقِ بِهِ، وَمِنْ حَمِيدٍ بَالِغِ
الإحاطة بأوصاف الكمال، مُنَزَّهٌ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ وَعَيْبٍ، مَحْمُودٌ
على ذلك

ما يُقَالُ لَكَ -يا مُحَمَّدٌ- إِلَّا ما قد قِيلَ لِلرُّسُلِ الَّذِينَ بُعِثُوا مِنْ
قَبْلِكَ، إِنَّ رَبَّكَ -يا مُحَمَّدٌ- لَذُو مَغْفِرَةٍ لَذُنُوبِ عِبَادِهِ التَّائِبِينَ، وَهُوَ
ذُو عِقَابٍ مُؤَلِّمٍ لِمَنْ أَصْرَرَ عَلَى كُفْرِهِ وَمَعَاصِيهِ، وَلَمْ يَتُوبْ مِنْ
ذُنُوبِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ

ولو جعلنا القرآن بلغَةً أُخْرَى غَيْرَ الْعَرَبِيَّةِ لَقَالَ كُفَّارٌ قُرَيْشِي:
هَلَّا بَيَّنَّ اللَّهُ لَنَا آيَاتِ كِتَابِهِ بِلُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ؛ حَتَّى نَعْقِلَ ما فِيهِ؟
أَفَرَأْنُ أَعْجَمِيٍّ وَرَسُولٌ عَرَبِيٌّ؟! قُلْ -يا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ:
الْقُرْآنُ لِلْمُؤْمِنِينَ هُدًى يُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَيُعَلِّمُهُمْ ما يَنْفَعُهُمْ،
وَهُوَ شِفَاءٌ لَهُمْ مِنَ الْجَهْلِ وَالشُّكِّ وَالشُّبُهَاتِ، وَأَمْرٌ لِلْقُلُوبِ
وَالْأَبْدَانِ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ ثِقَلٌ؛ فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِسَمَاعِ
الْحَقِّ، وَالْقُرْآنُ عَلَى قُلُوبِهِمْ عَمًى؛ فَلَا يُبْصِرُونَ حُجَجَهُ عَلَيْهِمْ،
وَلَا يَهْتَدُونَ إِلَى ما فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ، أَوْلَيْكَ كَأَنَّهُمْ لِعَمَى قُلُوبِهِمْ عَنْ
فَهْمٍ ما أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حُجَجِهِ وَمَوَاعِظِهِ، وَعَدِمَ انْتِفَاعِهِمْ
بِهِ- يُنَادُونَ مِنْ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ مِنْهُمْ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ الدِّعَاءَ، وَلَا
يَفْهَمُونَهُ

ولقد آتَيْنَا مُوسَى الثَّورَ فَاخْتَلَفَ قَوْمُهُ فِيهَا؛ فَأَمَّنَ بِهَا بَعْضُهُمْ
وَاتَّبَعُوهَا، وَآخَرُونَ مِنْهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا وَأَعْرَضُوا عَنْهَا، فَلَا
تَحْزَنُ مِنَ تَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ بِما آتَيْنَاكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَوْ لَا كَلِمَةُ

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ -يا مُحَمَّدٌ- بتأخير العَذَابِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى،
لأَهْلَكُهُمُ اللَّهُ فِي الْحَالِ، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ شَدِيدٍ مِنْهُ، مُوقِعٍ فِي الْقَلْقِ،
وَمُوجِبٍ لِلاضْطِرَابِ

مَنْ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا عَمَلًا صَالِحًا بِإِخْلَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى، وَمُتَابَعَةٍ
لِشَرِّعِهِ؛ فَتَوَابُ ذَلِكَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِنَفْسِهِ، وَنَفْعُهُ لَهُ، وَمَنْ عَمِلَ
سُوءًا فَعِقَابُ إِسَاءَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ، لَا عَلَى غَيْرِهِ، وَمَا رَبُّكَ -يا
مُحَمَّدُ- بِظَلَامٍ لِعِبَادِهِ؛ فَلَا يُعَاقِبُ أَحَدًا بِغَيْرِ ذَنْبِهِ، أَوْ يَزِيدُ فِي
سَيِّئَاتِهِ أَوْ عِقَابِهِ، أَوْ يَنْقُصُ مِنْ حَسَنَاتِهِ

ar10124v1.0 - 06/09/2026